ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوب فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له انكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول الك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن او نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى فمن ثقلت موازينه جمع ميزان واورد على هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع واجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني رجحت اعمال الحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر فاولئك هم المفلحون يعني هم الناجون غدا والفائزون بثواب الله وجزائه ومن خفت موازينه يعني موازين اعمال الكفار بدليل قوله فاولئك الذين خسروا انفسهم يعني غبنوا انفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته بما كانوا باياتنا يظلمون يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وادلة توحيده يجحدون ولا يقرون بما روي عن ابي بكر الصديق انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله عز وجل ولقد مكناكم في الارض يعني مكناكم ايها الناس في الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش يعني معيشة يعني من جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها ايام حياتكم وهي على قسمين احدهما ما انعم الله به على عباده من الزرع والثمار وانواع المآكل والمشارب والثاني ما يحصل من المكاسب والارباح في انواع التجارات والصنائع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل الله وانعامه وتمكينه لعباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى قليلا ما تشكرون يعني على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها ويعادله الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني ولقد خلقناكم ايها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر ابيكم آدم ثم صورناكم في ارحام النساء صورا مخلوقة **فان قلت** على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي ان الامر بالسجود لآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم قبل خلق ذريته **قلت** يحتمل ان يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون

ثم

ثم اخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم يفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر على المخبر وقيل في معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى آدم وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني آدم ومكناه بخلقه ثم صورناكم يعني آدم يعني صورناه من طين ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يعني بعد اكمال خلقه وقد تقدم الكلام في سورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه كان على سبيل التحية وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة فيه خلاف تقدم ذكره وقوله تعالى فسجدوا يعني الملائكة الا ابليس يعني فسجد الملائكة لآدم الا ابليس لم يكن من الساجدين له وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مامورا بالسجود مع الملائكة فلما لم يسجد اخبر الله عنه انه لم يكن من الساجدين لآدم فلهذا استثنى منهم قوله عز وجل قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك يعني قال الله عز وجل لابليس اي شيء منعك عن السجود لآدم اذ امرتك به فعلى هذا القول يكون كلمة لا في قوله ان لا تسجد صلة زائدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك ان تسجد فهو كقوله لا اقسم اي اقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي يرجعون وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله اي ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على اصلها مفيدة وليست بزائدة لانه لا يجوز ان يقال ان كلمة من كتاب الله زائدة او لا معنى لها وعلى هذا القول حكى الامام عن احمد بن يحيى ان لا في هذه الآية ليست زائدة ولا توكيدا لان معنى قوله ما منعك ان لا تسجد من قال لك لا تسجد فيحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه ابو بكر بن العربي وقال الطبري الصواب في ذلك ان يقال ان في الكلام محذوفا وتقديره ما منعك من السجود فاحوجك ان لا تسجد فترك ذكر احوجك استغناء بمعرفة السامعين ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القاضي قال ذكر الله المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة الله عز وجل حالة عظيمة يتعجب منها ويسال عن الداعي اليها **فان قلت** لم ساله عن المانع من السجود وهو اعلم به **قلت** للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله وحسده لآدم ولذلك لم يثنه عليه قال يعني قال ابليس مجيبا لله عما ساله عنه انا خير منه **فان قلت** قوله انا خير منه ليس بجواب عما ساله عنه في قوله ما منعك ان لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغي له ان يقول منعني كذا وكذا ولكنه قال انا خير منه **قلت** استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين وانور وانما قال انا خير منه لما راى انه اشد منه قوة وافضل منه فضلا وذلك الفضل للجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه آدم فجهل عدو الله ابليس وجهل الحق واخطا طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل ابليس الخبيث مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لآدم عليه السلام والاستخفاف بامر ربه فاورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم ان من جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعي لآدم عليه السلام من السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسالته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان اول من قاس ابليس فاخطا وقال ابن سيرين ما عبدت الشمس والقمر الا بالقياس واصل هذا القياس الذي قاسه ابليس لما راى ان النار افضل من الطين واقوى فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدر ان الفضل لمن خلقه الله فاضلا وان الافضلية والخيرية لا تحصل بالنسب فضيلة الاصل والجوهر وايضا الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالمؤمن الحبشي خير من الكافر القرشي فالله تعالى خص صفيه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)